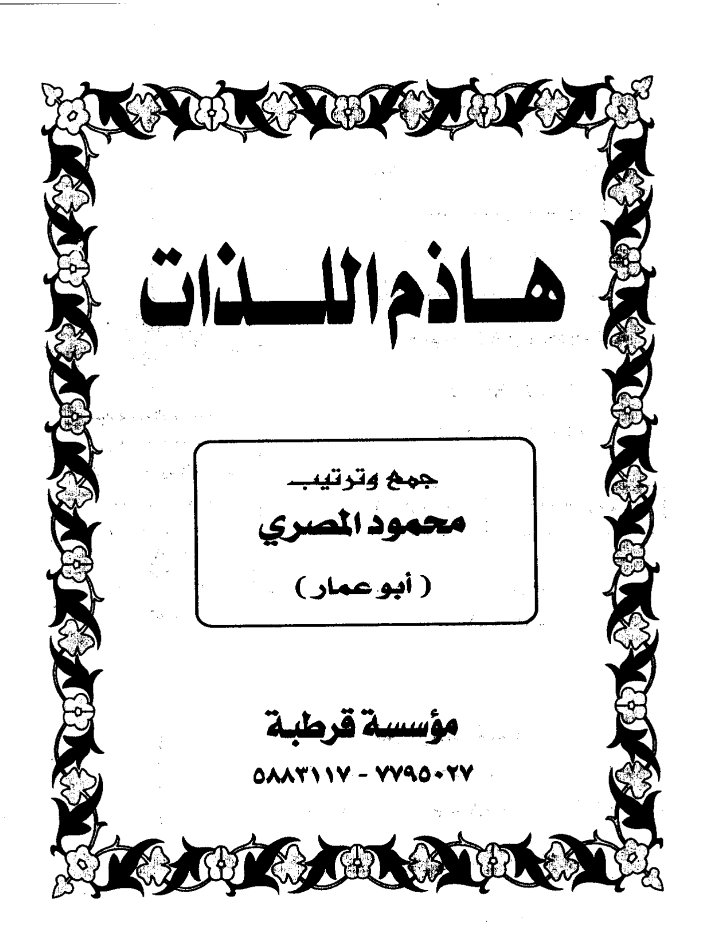


هـــاذم اللـــذات

جمع وترتيب

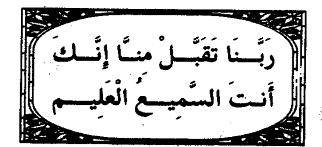
محمود المصري

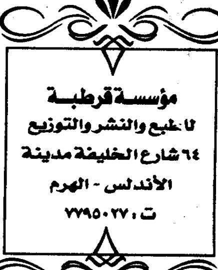
(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة

٧٧٩٥٠٢٧ - ٥٨٨٣١١٧

بسم الله الرحمن الرحيم





الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

رقم الإيداع	٢٠٠١/١٦٦١٢

التجهيز الفنى: إبراهيم حسن
ت: ٥٦٠٠٥٥٢

الناشر مؤسسة قرطبة
٦٤ ش الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ ش الباب الأخضر - ميدان الحسين ت: ٥٨٨٣١١٧

الشركة الفنية للطباعة ت: 7771039

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ. أما بعد:

فإن الإنسان فى هذه الحياة الدنيا عابر سبيل يوشك أن تنتهى رحلته وأن يصل إلى دار القرار - إما فى الجنة وإما فى النار - ولكن لما زخرفت الدنيا واستقرت فى قلوب أكثر الناس فنسوا أو تناسوا أنهم سيتركون الدنيا لا محالة ويرتحلون عنها إلى دار القرار.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ**﴾ (الانشقاق: ٦)، وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ**﴾ (النجم: ٤٢).

وقال تعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨)**

فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٣٦: ٤٠).

فلابد بعد تلك الحياة أن تجتمع الخلائق كلها للفصل والحساب بين يدى الكريم التواب ليجزى الذين أحسنوا بالحسنى ويُذيق المجرمين ألوان العذاب.

فتعالوا بنا لنتعايش مع تلك الرسالة الصغيرة بقلوبنا وأرواحنا لنتعرف على حقيقة الموت وكيف نتأهب لهذا اليوم.. عسى الله أن يحيى قلوبنا وأن يوفقنا لطاعته وأن يرزقنا جميعًا حُسن الخاتمة.

* وهذه رسالة مختصرة من الكتاب الذى سيصدر قريبًا - إن شاء الله - بعنوان: «**رحلة إلى الدار الآخرة**».

فأسأل الله (جل وعلا) أن ينفع به وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم... وصلي الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

وكتبه أفقر خلق الله إلى الله

محمود المصرى

(أبو عمار)

•• لا تغفلوا عن الحقيقة الكبرى ••

* الموت حتم لازم، لا تمنع منه حصانة القلاع ولا يحول دونه الحجاب ولا ترده الأبواب... قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء: ٧٨)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة: ٨).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)

قال صاحب الظلال: إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة في النفس: حقيقة أن الحياة في هذه الأرض موقوتة، محدودة بأجل؛ ثم تأتي نهايتها حتمًا.. يموت الصالحون ويموت الطالحون. يموت المجاهدون ويموت القاعدون. يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد.. يموت الشجعان الذين يأبون الضيم، ويموت الجبناء

الحريصون على الحياة بأى ثـمن.. يموت ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية، ويموت الـتافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص.

* قيل لبعض الزهاد: ما أبلغ العظات؟ قال: النظر إلى الأموات، وقـد أحســن القرطبـى فى وصف الموت حـيث يـقـول: «إعلـم أن الموت هـو الخَطـب الأفظـع، والأمـر الأشنع، والكأس الـذى طعمها أكـره وأبشع، وأنه الأهذم للذات. والأقطع للراحات، والأجلب للكريهات، فإن أمرًا يقطع أوصـالك، ويفرق أعضـاءك، ويهدم أركانـك، لهو الأمـر الفظيـع، والخطب الجـسيـم، وإن يومه لـهو اليـوم العظيم» (التذكرة: ص: ٢٤).

•• أكثروا ذكر هاذم اللذات ••

قال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذيـنَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمـوَالُكُمْ ولا أَولادُكم عَن ذكرِ اللَّه ومن يَفعَل ذلكَ فَأُولَئكَ هم الخَاسرُونَ * وَأَنـفقُوا من مَّا رَزَقْنَاكُم من قَبْـلِ أَن يَأتىَ أَحَدَكُمُ المَوتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَولا أَخَّرْتَنى إلى أَجلٍ قَريب فَأَصَّدَّقَ وأَكُنْ منَ الـصَّالحينَ * ولن يؤَخرَ اللَّه نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا واللَّهُ خَبيرٌ بِمَا تعملُونَ﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

وقـال تعـالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارجعُون * لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحًا فيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هو قَائِلُهَا وَمِن ورائهم بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾ [المؤمنون: ٩٩: ١٠٠].

* عن ابن عمر رضى اللّه عنـهما قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بمنـكبى فَقَالَ: «كُنْ فى الـدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَو عـابرُ سَبِيلٍ» وكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضى اللّه عنهما يقول: إذا أَمسَيتَ، فَلاَ تَنْتَظِرِ الـصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخـذ مِن صِحَّتِكَ لَمرَضِك وَمِن حَيَاتِكَ لَموتِكَ (أخرجه البخارى).

وعنه أنَّ رسـول اللّه ﷺ قال: «مـا حَقُّ امْرِئٍ مُسلِم لَه شَىءٌ يُوصِى فِيـهِ. يبِيـتُ لَيْلَتَيْنِ إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» (متفق عليه).

وقالَ رسولُ اللّه ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ» يَعنى: المَوْتَ (صحيح الجامع: ١٢١٠).

* وعن ابن عمر رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ سُئل: أى المؤمنين أكـيس، قال: «أكثرهم للمـوت ذكرًا وأشدهم استعدادًا له أولئك هم الأكياس» (السلسلة الصحيحة: ١٣٨٤).

وقال الحـسن البصرى: فـضح الموت الدنيا، فلـم يترك

لذى لُب فيهـا فرحًا، وما ألزم عبد قلبـه الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها.

وكان ابن عمـر رضى الله عنهما إذا ذكـر الموت انتفض انتفاض الـطير، وكان يجمع كل ليـلة الفقهاء، فيـتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة.

وقال ابن مسـعود ـ رضى الله عنه ـ: السعـيد من وُعظ بغـيره، وقال أبو الـدرداء رضى الله عنه: إذا ذكـر الموتى، فعُدَّ نفسك كأحدهم.

•• أثر تذكر الموت فى إصلاح النفوس ••

إن لتذكر الموت أثر كبير فى إصـلاح النفوس وتهذيبها، ذلك أن النفـوس تؤثر الدنيا وملـذاتها، وتطمع فى الـبقاء المديد فى هـذه الحياة، وقد تهـفو إلى الذنوب والمـعاصى، وقد تقـصر فى الطاعـات، فإذا كان الموت دائمـا على بال العبـد، فإنه يصـغر الدنيـا فى عينه، ويـجعله يسـعى فى إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره... فقد روى البيهقى فى شُعب الإيـمان، وابن حـبّان فى صحيـحه والبـزار فى مسنده بإسناد حسن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت، فإنه لم يذكره فى

ضيق مـن العيش إلا وسعـه عليه، ولا ذكره فى سـعة إلا ضيقها» (صحيح الجامع: ١٢١١).

ويذكر ابن المبارك أن صالحًا المرى كان يـقول: «إن ذكر الموت إذا فارقنى ساعة فسد علىَّ قلبى».

وقال الـقرطبى: قـال العلمـاء: تذكر المـوت يردع عن المعاصـى، ويلين القلـب القاسى، ويذهـب الفرح بالدنـيا ويهون المصائب.

•• من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء ••

قال الدقاق: من أكثر من ذكـر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التـوبة، وقناعة القلب، ونشاط العـبادة، ومن نسى الموت عوقب بثـلاثة أشياء: تسويف التـوبة، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

فتـفكر يا مغـرور فى الموت وسكراتـه، وصعوبة كـأسه ومرارته، فيـا للموت من وعد ما أصدقـه، ومن حاكم ما أعدله، وكـفى بالموت مـقرحًا، ومبكيًا لـلعيون، ومـفرقًا للجـماعـات، وهادمًا للذات، وقـاطعًا للأمـنيات، فـهل تفـكرت يـا ابن آدم فـى يوم مـصـرعك وانتـقـالـك من

مـوضعـك، وإذا نقلـت من سـعـة إلى ضـيق، وخـانك الصاحب والـرفيق، وهجرك الأخ والصـديق، وأُخذت من فراشك، وغطائـك إلى عرر، وغطوك من بعد لـين لحافك بتراب ومدر، فـيا جامع المال، والمجتهد فى الـبنيان، ليس لك والله مـن مالك إلا الأكـفان، بـل هى والله للخـراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذى جمعته من المال؟ فهل أنـقذك من الأهوال؟ كلا، بل تركـته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك، ولقد أحسن من قال فى تفسير قوله تـعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ أى: اطلب (التذكرة: ١/ ٥٠).

•• استحباب زيارة القبور للرجال ••

ولأن أكثـر الناس يـنشغـلون بالدنـيا وحُطامـها الـزائل فيُستحب للرجال زيارة القبور لأنها تذكرهم بالآخرة.

* عن بُرَيْدَةَ رضى اللَّهُ عنه قال: قال رسُولُ اللَّه ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيارَةَ القُبُورِ فَزُورُوها» (اخرجه مسلم).

وفى رواية: «فمن أراد أن يزور القبور فليزر فإنها تذكرنا بالآخرة».

* وعن بُرَيْدَةَ رضى اللَّهُ عنهُ، قال: كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إذا خَرَجُوا إلى المَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُم: «السَّلامُ عَلَيكُمْ أَهْلَ الدِّيار مِنَ الْمُؤْمنينَ والمُسْلمينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ للاَحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّه لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ» (اخرجه مسلم).

•• خير الناس من طال عمره وحسن عمله ••

* واختلف السالكون أيما أفضل، مَن تمنّى الموت شوقًا إلى لقاء الله أو مَن تمنى الحياة رغبة فى طاعة الله؟ أو مَن فوّض الأمر إلى الله ورضى باختياره ولم يختر لنفسه شيئًا.

* فذهب قوم إلى تفضيل الموت على الحياة واستدل طائفة من الصحابة بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا عِندَ الله خَيْرٌ لِّلأَبْرارِ﴾.

* ولكن الأحاديث الصحيحة تدل على أن عمر المؤمن كلما طال ازداد بذلك ما له عند الله من خير، فلا ينبغى له أن يتمنى انقطاع ذلك، اللَّهم إلا أن يخشى الفتنة على دينه، فإنه إذا خشى الفتنة على دينه فقد خشى أن يفوته ما عند الله من خير، والموت خير له على هذه الحال.

* وعن أبى بكرة رضى الله عنه مولى رسول الله ﷺ

قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس، من طال عمره وساء عمله» (صحيح الجامع: ٣٢٩٧).

* «الموتى فى قبورهم يتحسرون على زيادة فى أعمالهم بتسبيحة وبركعة. ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك، فلا يقدرون على ذلك قد حيل بينهم وبين العمل غلقت منهم الرهون.

ورؤى بعضهم فى المنام فقال: ندمنا على أمر عظيم، نعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون، والله لتسبيحة أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان فى صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها (لطائف المعارف: ص: ٣٢٨).

•• الموت كفارة لكل مسلم ••

إنما كان الموت كفارة، لكل ما يلقاه الميت فى مرضه من الآلام والأوجاع، وقد قال ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى، من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» (متفق عليه).

* وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله

عنه قـال: «إذا بقى على المؤمن مـن ذنوبه شيء لم يبـلغه بعمله شُدِّد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافـر إذا كان قد عمل معـروفًا فى الدنيا، هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار».

•• لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله ••

عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام: «لا يموتن أحـدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» (أخرجه مسلم).

(وذكره) ابـن أبى الدنيـا فى كتـاب (حسن الـظن بالله تعالى)، وزاد: فإن قومًا قد أرداهـم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٣).

وعن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال: «كيف تجدك؟» فقال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموطن إلا أعـطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف» (رواه الترمذى بإسناد حسن).

•• من أحب الجنة فليحب الموت ••

* وقال ابن عبد ربه لمكحول: «أتحبُّ الجنة؟ قال: وَمَن لا يحب الجنة؟!!، قال: فأحبَّ الموت، فإنك لن ترى الجنة حتى تموت».

* وعن حبان بن الأسود قال: الموت خير يُوصل الحبيب إلى الحبيب.

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «ما من نفس برّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة، إن كان برًا فقد قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٨)، وإن كان فاجرًا، فقد قال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ (آل عمران: ١٧٨).

* وقال عمر بن عبد العزيز: «إنما خُلقتم للأبد، وإنما تُنقلون من دار إلى دار».

* وعن فضالة بن عُبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهم من آمن بك، وشهد أني رسولك فحبِّب إليه لقاءك، وسَهِّلْ عليه قضاءك، وأقلل له من الدنيا، ومَن

لم يؤمن بـك، ولم يشهد أنـى رسولك، فلا تُحـبِّبْ إليه لقاءك، ولا تُسَهِّل عليه قضاءك، وأكثر له من الدنيا» (رواه الطبراني ورجاله ثقات).

•• لا يكره المـوت إلا أحـد رجلـين ••

واعلم أخى الحبيب أنه لا يكره الموت إلا أحد رجلين:

* أحدهما: من لا يؤمن بالآخرة وعنده أن لا حياة ولا نعـيم إلا فـى الدنيـا كـمن وصفـهم الله تـعالـى بقـوله: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ (البقرة: ٩٦).

* والثانى: يُؤمن به ولكن يخاف ذنبه.

فأما من لـم يكن كذلك فإنه يحـبه، ويتمناه كـما أحبّه الصالحون وتمنوه.

* قال رسـول الله ﷺ: «من أحب لقـاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» (متفق عليه).

* وقـال تعـالى: ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ٩٤).

•• كراهة تمنى الموت بسبب كثرة الابتلاءات ••

ويُكره للمؤمن أن يتـمنى الموت عندما يشتد عـليه البلاء إلا أن يخشى الفتنة فى دينه.

عنْ أبى هُريرة رضىَ اللَّهُ عنه أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «لا يتـمـنيَّن أحَدُكُمُ المَوْتَ إمَا مُحـسِنًا، فلَعَلَّهُ يَزْدادُ، وَإمَّا مُسيئًا فَلَعَلَّهُ يَستَعْتِبُ» (متفق عليه).

وفى روايـة لمسلـم عن أبـى هُرَيْرةَ رضى اللَّهُ عـنه عَنْ رسُول اللَّه ﷺ قال: «لا يتمنيَّن أحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلا يَدْعُ به منْ قَبْلِ أنْ يَأْتيَهُ، إنَّهُ إذا مـاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإنَّهُ لا يَزيـدُ المُؤمنَ عُمُرُهُ إلاَّ خَيرًا».

وعـن أنسٍ رضـى اللَّه عـنـه قـالَ: قـالَ رسـولُ الـلَّه ﷺ: «لايَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ لضرٍّ أصَابَهُ فَإنْ كـــانْ لابُدَّ فـاعلاً، فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ أحْيني مـا كـانَت الحَيـاةُ خَيْرًا لى، وتَوَفَّنى إذا كانَتِ الوفاةُ خَيرًا لى» (متفق عليه).

•• تمنى الموت يقع على وجوه ••

والتـحقيق فـى تلك المسـألة: أن تمنى الموت يقـع على وجوه:

* منها: تمنّيه لضر دنيوى ينزل بالعبد فيُنهى حينئذ عن تمنى الموت.

ووجه كراهيته فى هذا الحال أن المتمنى للموت لضر نزل به إنما يتمناه تعجيلاً للاستراحة من ضره وهو لا يدرى إلى ما يصير بعد الموت فلعله يصير إلى ضر أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار. وفى الحديث عن النبى ﷺ قال: «إنما يستريح مَن غُفر له»، فلهذا لا ينبغى له أن يدعو بالموت إلا أن يشترط أن يكون خيرًا له عند الله عز وجل.

* ومنها: تمنيه خوف الفتنة فى الدين فيجوز حينئذ. وقد تمنّاه ودعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة وأئمة الإسلام... وفى حديث المنام: «وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون».

* تمنّى الموت عند حضور أسباب الشهادة: فيجوز ذلك أيضًا، وسؤال الصحابة الشهادة وتعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور وكذلك سؤال مُعاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لما وقع بالشام.

* ومنها تمنى الموت لمن وثق بعمله شوقًا إلى لقاء الله

عز وجل: فهذا يجوز أيضًا وقد فعله كثير من السلف.

* قال أبو الدرداء: أحب الموت اشتياقًا إلى ربى. وقال عنبسة الخولانى: كان من قبلكم لقاء الله أحب إليه من الشهد. وقال بعضهم: طال شوقى إليك فعجّل قدومى عليك. وقال بعضهم: لا تطيب نفسى بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله عز وجل فإننى حينئذ أشتاق إلى الموت كشوق الظمآن الشديد ظمؤه فى اليوم الحار الشديد حره إلى الماء البارد الشديد برده.

وفى هذا يقول بعضهم:

أشتاق إليك يا قريبًا نائى ... شوق ظمأ إلى زلال الماء

* سُئل أبو حازم: كيف القدوم على الله؟ قال: أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما العاصى فكقدوم الآبق على سيده الغضبان.

* رُئى أحد الصالحين فى النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيرًا لم يُر مثل الكريم إذا حلَّ به مطيع.. الدنيا كلها شهر الصيام للمتقين وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم... وصدق من قال:

وقد صُمت عن لذات دهرى كلها

ويوم لقاكـم ذاك فـطـر صيامـى

* وعن أبـى هريرة رضـى الله عنه مـرفـوعًا: «والذى نفسـى بيده لا تذهب الدنـيا حتى يمـرّ الرجل على القـبر فيـتمرّغ عـليه ويقـول: يا ليتنـى كنتُ مكان صـاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء» (أخرجه مسلم).

•• الموت مصيبة... والغفلة عنه من أعظم المصائب ••

فالموت هائل وخـطره عظيم والناس فى غفلـة عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له.

* نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها، ثم بكى فقال: والله لولا الموت لكـنت بك مسرورًا، ولولا ما نصير إلـيه من ضيق القبـور لقرّت بالدنيا أعيـننا، ثم بكى بكاء شديدًا حتى ارتفع صوته».

قال القرطبى: قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنمـا هو انقطاع تعلق الـروح بالبدن ومفـارقته وحيلولـة بينهما، وتـبدل حال، وانتقـال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سمـاه الله تعالى مصيبة، فى

قوله (تعالى) ﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى. قال علماؤنا: وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكر فيه، وترك العمل له.

•• قل يتوفاكم ملك الموت ••

* ومن بين الملائكة الملَك الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، وقد جاء فى بعض الآثار تسميته عزرائيل، قال الله تعالى ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذى وُكِّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾، وقال تعالى ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفَّته رسلنا وهم لا يفرِّطون. ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾، وقال تعالى ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾، وقال تعالى ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ـ إلى قوله تعالى ـ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ وغيرها من الآيات. وقد جاء فى الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنًا ففى أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة،

وإن كان مسيئًا ففى أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا يدعونها فى يده بل يضعونها فى أكفان وحنوط يليق بها.

* قال ابن بطة: «الإيمان بملك الموت ﷺ أنه يقبض الأرواح، ثم تُرد فى الأجساد فى القبور وهو يتصف بصفات من القدرة والسلطان وعظم الخلق وغيرهما من الصفات التى جعلته قادرًا على قبض أرواح كثيرة فى أماكن مختلفة بعيدة الأطراف فى لحظة واحدة».

قال ابن عباس: «خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب».

وصح عن مجاهد أنه قال عن ملك الموت: «حُويت له الأرض فجُعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء».

•• مشهد السكرات ونداء ملك الموت ••

* قال القرطبى: «مَثّلْ نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلانا قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن قائل يقول: إن فلانا ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه،

فكأنى أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب. فَخَيِّلْ لنفسك، يا ابن آدم إذا أُخذت من فراشك إلى لوح مغسلك، فغسلك الغاسل، وأُلبست الأكفان، وأوحش منك الأهل والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان، وقال الغاسل: أين زوجة فلان تحالله، وأين اليتامى ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبدا (التذكرة: ص: ٢١).

ياله من مشهد مهيب يتحدد من خلاله مصير العبد إما إلى ظلٍ ظليل وإمّا إلى شرٍ مقيل.

•• الذى يخفف عنه سكرات الموت ••

أخبرنا الرسول ﷺ أن الشهيد الذى يسقط فى المعركة تخفف عنه سكرات الموت، فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة» (صحيح الجامع: ٣٧٤٦).

•• لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله ••

قال ﷺ: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله» (اخرجه مسلم).

قال القرطبى: قال علماؤنا: تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامهم

لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة، وليدخل في عموم قوله عليه السلام: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» (رواه أحمد بسندٍ صحيح).

* فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لئلا يضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فهم ذلك عنه، قال ابن المبارك: «لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه».

قال أبو محمد عبد الحق: وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لج عليه بها أن يتبرم ويضجر، ويثقلها الشيطان عليه، فيكون سببًا لسوء الخاتمة.

•• يا لها من لحظات ••

قال القرطبي: وفي الخبر: أنه إذا دنت منية المؤمن نزل عليه أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى (وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى)، والنفس تنسل انسلال القطرة من السقاء وهم يجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع. والكافر تنسل روحه كالسفود من الصوف المبتل. فمثِّل نفسك يا مغرور وقد حلت بك

السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلانًا قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن قائل يقول: إن فلانًا ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، فكأنى أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب، ثم تبكي ابنتك وهى كالأسيرة، وتتضرع وتقول: حبيبى أبى من ليُتمى من بعدك؟ ومن لحاجتى؟ وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب (التذكرة: ١/ ٧٥، ٧٦).

لَيسَ الغَرِيْبُ غَريبَ الشَّام واليَمَنِ
إنَّ الغَرِيْبَ غَرِيْبُ اللَّحْدِ والكَفَنِ

إنَّ الغَرِيْبَ لَهُ حَقٌ لِغُرْبَتِه
عَلَى المُقيمينَ فى الأوْطَانِ والسَّكَنِ

لا تَنْهَرنَّ غريبًا حَالَ غُربتِه
الدَّهْرُ يَنهَرْه بالذّلِ والمِحَنِ

سَفَرِىْ بعيدٌ وزادى لَنْ يُبَلِّغَنى
وَقوَّتِى ضَعُفَتْ والموتُ يَطْلُبُنى

ولــى بَقَايَـا ذُنُوبٍ لَسْـتُ أعلـمُهَـا

الله يَعْلَمُـها فـى السِّـر والعَلَــنِ

مـا أَحْلَـمَ الله عَنِّى حَيـثُ أمهلَنـى

وقـد تَمادَيْـتُ فى ذَنْبـى ويَسْتُرنى

تمـرُ سَاعَــاتُ أيامــى بــلا نَــدَمٍ

ولا بُكَـاءٍ ولا خَــوفٍ ولا حَــزَنِ

أنا الــذى أغلـقُ الأبْـوَابَ مُجْتَهِداً

عـلى المعـاصـى وعَـينُ الله تَنْظُرُنى

يا زَلةً كُتِبتْ فـــى غَفْلــةٍ ذَهَبَــتْ

يا حَسرَةً بَقِيَتْ فـى القلبِ تُحْرِقُنى

دَعْنِـى أنُـوحُ علـى نَفْســى وأندُبُها

وأَقْطَـعُ الدَّهْـرَ بالـتَذْكيـرِ والحَـزَنِ

دَعْ عَنْكَ عَذْلى يَا مَنْ كــانَ يَعْذلُنى

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا بى كُنْت تَعْذُرُنـى

دَعْنى أسِحُّ دمُوعـًا لا انْقِطَـاعَ لَهَا
فَهَلْ عَسَى عَبْرَةٌ مِنهَا تُخَلِّصُنى
كَأنَّنى بَيْنَ تِلكَ الأهـل مُنْطرحـًا
عـلـى الـفِرَاشِ وَأيْدِيهِمْ تُقَلِّبُنـى
كَأنَنِى وَحَوْلـى مَـنْ يَنُوحُ ومَـنْ
يَبْكِى عَلَىَّ ويَنْعَانِى ويَنْدُبُنـى
وقدْ أتَوا بِطَبيبٍ كَىْ يُعَالِجنى
ولَم أرَ الطَبِيـبَ اليـومَ يَنفَعُنى
وَاشْتَدَّ نَزْعِى وصَارَ الموتُ يَجْذبُها
مِنْ كُلِّ عِرْق بــلاَ رِفْقٍ ولا هَوَنِ
واستَخْرَجَ الروحَ مِنِّى فى تَغَرْغُرِهَا
وصَارَ رِيقِى مَرِيراً حِينَ غَرْغَرنَى
وَغَمَّضُونِى ورَاحَ الكُلُّ وَانصرَفُوا
بَعْدَ الإِيَاسِ وَجَدّوا فى شِرَا كَفَنى

وَقَامَ مَنْ كَانَ أحَبَّ الناس فى عَجَلٍ
نَحْوَ المُغسِّل يأتينى يُغَسِّلُنى
وقَالَ يا قَومُ نَبْغِى غَاسِلاً حذِقًا
حُرًا أدِيبًا أرِيبًا عارِفًا فَطِنِ
فَجَاءنِى رَجُلٌ منْهُمْ فَجَرَّدنى
مِنْ الثّيَاب وأعْرَانى وأفْرَدَنى
وَأوْدَعُونى عَلى الألوَاحِ مُنْطَرِحًا
وصَارَ فَوْقى خَرِيرُ الماءِ يَنْظِفُنى
وأسكَبَ الماءَ مِنْ فَوقى وَغَسَّلَنى
غَسلاً ثَلاثًا وَنَادَى القَوْمَ بِالكَفَنِ
وَألبَسُونى ثِيَابًا لا كِمَامَ لَهَا
وَصَارَ زَادى حَنُوطِى حَينَ حَنَّطَنى
وأخْرَجُونى مِنَ الدنيا فَوا أسَفا
على رَحِيل بلا زَادٍ يُبَلِّغُنِى

وَحَمَّلُونِى علـى الأكْتَافِ أربَعَةٌ
مِنَ الـرجَالِ وخَلفِى مَنْ يُشيِّعُنـى
وَقَدَّمُونِى إلـى المحـرَاب وانْصرَفُوا
خَلـفَ الإمَامِ فَصلـىَّ ثُمَّ ودعَنِى
صلَّوا علـىَّ صَلاةً لا رُكُوعَ لَهَا
وَلا سُجُوْدَ لَعَلَّ الله يَرحَمُنـى
وأنـزلُونـى إلـى قَبْرِى عَلَى مَهَل
وقَدَّمُوا وَاحِـداً منـهُم يُلَحِّدُنـى
وكَشَّفَ الثَوْبَ عَنْ وجَهى لِيَنظُرنى
وأسْبَلَ الـدَّمْعَ من عيـنَيـه أغرَقَنى
فَقَـامَ مُحتَزِمـاً بـالعَـزْم مُشْتَمِلاً
وَصفَّفَ الـلَّبنَ مِنْ فَوقِى وَفَارقنـى
وقَالَ هلُّوا عَلَيـه الـتُّرابَ واغْتَنِمُوا
حُسْنَ الثَّوابِ مِن الرحمن ذِى المِنَنِ

فـى ظُلْمَة الـقَبْرِ لا أمٌ هُنَـاكَ ولا
أبٌ شَفِيـقٌ ولا أخٌ يُؤنِّسُنِـى
وَهَالَنى صُورَةٌ فى العَيْـن إذ نَظَرَتْ
مِنْ هَوْلِ مطـلَعِ مَا قَدْ كَانَ أدهَشَنِى
مِنْ مُنْكـرٍ وَنَكِيْرٍ مـَـا أقُولُ لَهُمْ
قَـدْ هَالَنِى أمـرهم جـدًا فأفـزعنى
وأقـعَدُونى وَجَدُّوا فـى سُؤالِهـمُ
مَا لـى سِـوَاكَ إلـهَى مَنْ يُخَلِّصُنى
فـامْنُنْ عَلَىَّ بعَفْوٍ مِنْكَ يَا أمَلـى
فإنَّنـى مُوثَـقٌ بالـذَّنْـب مُرتَهَـنِ
تَقَاسَمَ الأهْل مَالِىْ بَعـدَمَا انصرَفُوا
وَصَارَ وِزْرِى على ظَهْرِى فـأثقَلَنى
واستَبْدَلَتْ زَوَجَتى بَعْلاً لَهَا بَدَلى
وَحكَّمَتْهُ فـى الأمْـوالِ والسكَـنِ

وصيَّرتْ إبنــــى عبْدًا ليَخدِمَهُ

وَصارَ مالى لَهُمْ حِـلاً بِـلا ثَمَـنِ

فَلا تغُرَّنَّك الـدُّنْيَا وزِينَتُهـا

وانظُرْ إلى فِعْلِهَا فى الأهل والوَطنِ

وانظُرْ إلى مَنْ حَوَى الدنيا بأجْمَعِهَا

هَل راحَ منها بِغَيْر الحَنْطِ والكَفَنِ

خُذِ القَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وارض بِهـا

لَوْ لَمْ يَكُنْ لَك فيها، إلا راحة البَدَنِ

يـا زَارِعَ الخَيـرِ تَحصُدْ بَعدَهُ ثَمرًا

يا زَارِعَ الشرِّ مَوْقُوفٌ علـى الوَهَنِ

يَا نَفسُ كُفِّى عن العِصْيَانِ واكْتَسِبِى

فِعْلاً جَمِيـلاً لَعَلَّ الله يَرحَمُنِـى

يَا نَفسُ وَيحَكِ تُوبِى واعْمَلى حَسَنًا

عَسَى تُجْزَيْن بَعْد الموتِ بالحَسَنِ

ثُمَّ الـصَلاةُ علــى المُخـتَارِ سَيِّدنَا
مَا وضَأَ البَرْقُ فى شَامٍ وفــى يَمَـنِ
والحَمــد لـلــه مُمْسِيْنَا ومُصْبِحنَا
بالخَيْرِ والعَفْوِ والإِحـسَانِ والمِنَنِ[١]

•• ويا لها من كرامة ••

* وعن عبد اللهُ بن عمرو رضى الله عنهما قال:

«إذا توفَّى الله العبدَ المؤمن، أرسلَ إليه ملكينِ بخرقةٍ من الجنة، وريَحان الجنة، فـقالا: أيتُها الروحُ الطيـبة، اخرُجى إلى روحٍ وريحان، وربٍ غيرِ غضبَان.

اخرُجى، فنعمَ ما قَدَّمت.

فتخرُجُ كأطيب رائحة مسكٍ وَجَدَهَا أحدُكم بأنفِهِ.

وعلى أرجاء السماء ملائكةٌ يـقولون: سبحان الله، لقد جاءَ من الأرض روحٌ طيـبةٌ، فلا يمر بـباب، إلا فُتح له،

(١) من شعر الإمـام على زين العابدين بن الحسين بـن على (رضى الله عنهم جميعًا).

ولا ملكٌ إلا صلى عليه وشُفِّع، حتى يُؤتى به ربه، فتسجد الملائكةُ قَبْلَهُ، ثم يقولون:

ربنا هذا عبدك فلانٌ، توفيناهُ، أنت أعلمُ به.

فيقولُ: مُرُوهُ بالسجود، فتسجُدُ النسمةُ، ثم يُدعَى ميكائيلُ، فيُقالُ:

اجعل هذه النسمةَ، مع أنفُسِ المُؤمنين، حتى أسألكَ عنها يومَ القيامة.

فيُؤمرُ بقبرِه، فيُوسعُ له، طُولهُ سبعون، وعرضهُ سبعون، ويُنبذُ فيه الريحان، ويُبسطُ له فيه الحرير، وإن كان معه شيءٌ من القرآن نوَّرهُ، وإلا جُعلَ له نورٌ مثل نورِ الشمس، فيُفتحُ له بابٌ إلى الجنة، فينظرُ إلى مقعدِه فى الجنةِ بكرةً وعشيًا (رواه الطبرانى ورجاله ثقات).

•• أتدرى ماذا يقول النعش ••

دخل بهاء الدين السبكى على الشيخ برهان الدين الإبناسى يعوده - يزوره - وكان تجاههما نعش، فنظر السبكى إلى النعش، ثم قال للإبناسى: يا شيخ برهان الدين: أتدرى ما يقول هذا النعش؟ فقال إنه يقول:

انظُرْ إلىَّ بعَقْلكْ أَنَا المُعَدُّ لِحَمْلكْ
أَنَا سَرِيرُ المَنَايَا كَمْ سَارَ مِثْلِي بِمِثْلِكْ

•• بعض القصص الذى يبين لنا مشاهد الحسرة والفرحة عند لقاء الموت ••

قال أشعث بن أسلم: سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت - واسمه عزرائيل وله عينان، عين فى وجهه وعين فى قفاه - فقال: يا ملك الموت ما تصنع. إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب، ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع؟ قال: أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعى هاتين.

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام: ما لى أراك لا تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا؟ قال: ما أنا بذلك بأعلم منك! إنما هى صحف أو كتب تُلقَى إلىّ فيها أسماء، . . . . . وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض، فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه - بعد مرات - وطلب دابة فأتى بها فلم تعجبه، حتى أتى بدواب فركب أحسنها؛ فجاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كِبرًا. ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس

كبرًا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، فأخذ بلجام دابته فقال: أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرًا عظيمًا! قال: إن لى إليك حاجة قال: اصبر حتى أنزل قال: لا الآن، فقهره على لجام دابته فقال اذكرها! قال، هو سر، فأدنى له رأسه فسارّه وقال، أنا ملك الموت! فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال: دعنى حتى أرجع إلى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم، قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدًا! فقبض روحه فخرّ كأنه خشبة، ثم مضى - ملك الموت - فلقى عبدًا مؤمنًا فى تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال: إن لى إليك حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات. . . . فساره وقال أنا ملك الموت! فقال: أهلاً وسهلاً بمن طالت غيبته علىّ فوالله ما كان فى الأرض غائب أحب إلىّ أن ألقاه منك! فقال ملك الموت! اقض حاجتك التى خرجت لها، فقال ما لى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى! قال فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك! فقال: تقدر على ذلك؟ قال نعم إنى أُمرت بذلك، قال: فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ثم اقبض روحى وأنا ساجد، فقبض روحه وهو ساجد.

وعن الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من

جُلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلىَّ كأنه يريدنى قال: فماذا تريد؟ قال أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى إلى أقصى الهند! ففعلت الريح ذلك، ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانية: رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى قال: نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أُمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك!

فيا أخى الحبيب ألا تغتنم العمر فى طاعة الله جل وعلا قبل أن تسمع هذا النداء الذى يقرع القلوب والأسماع.

أيا عبدُ كم يراك الله عاصيا
حريصًا على الدنيا وللموت ناسيا
أنسيت لقاء الله واللحد والثرى
ويومًا عبوسًا تشيب فيه النواصيا
لو أن المرء لم يلبس ثيابًا من التُقى
تجرد عُريانًا ولو كان كاسيا
ولو أن الدنيا تدوم لأهلها
لكان رسول الله حيًا وباقيا

لكنهــا تفنــى ويفنــى نعيمُهــا
وتبقى الذنوب والمعاصــى كمــا هــى

●● كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين ●●

وحُكى عن هــارون الرشيد أنــه انتقى أكـفانه بيــده عند الموت، وكان ينظر إليــها ويقول ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩].

وفرش المأمون رمادًا واضطجع عــليه وكان يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

ولما حضرت معاذا رضى اللـه عنه الوفاة قال: اللهم إنى كنت أخــافك وأنا اليوم أرجـوك، اللهم إنك تعــلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فــيها لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالـرُكب عند حلق الذكر. ولما اشتــد به النزع ونزع نزعًا لم ينزعه أحد كان كلما أفــاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب مــا أخنقنى خــنقك فوعــزتك إنك تعلم أن قــلبى يحبك.

ولما حضــرت سلمان الــوفاة بكى فقــيل له ما يــبكيك؟ قال: ما أبكى جــزعًا على الدنيا، ولكن عهــد إلينا رسول

الله ﷺ أن يكون زاد أحدنا من الدنيا كزاد الراكب. فلما مات سلمان نظروا فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه فقال: بل واطرباه! غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

* ولقد وعظ الله تعالى رسوله ﷺ بالموت فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠).

قال رسول الله ﷺ: «أتانى جبريل، فقال: يا محمد، عش ما شئت. فإنك ميت. وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به. واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس» (صحيح الجامع: ٧٣).

* وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل».

•• تخيير الأنبياء عند الموت ••

وهذا أمرٌ خاص بالأنبياء والرسل ـ صلوات ربى وسلامه

عليهم ـ لا يشاركهم فيه أحدٌ من البشر.

ففى الصحيحين عن عـائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يُقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخيّر».

* وروى الشـيخـان عن أبى سعـيد الخـدرى رضى الله عنه، قال: خـطب رسول الله ﷺ الناس وقـال: «إن الله خيّر عبدًا بين الـدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلـك العبد ما عند الله!»، قال: فبـكى أبو بكر، فعجبنا لبـكائه أن يُخبر رسـول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هـو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا».

يخيّر الأنـبياء بين الـبقاء فى الـدنيا والانتقـال إلى ذلك المقـام، ولا شك أن كل رسول يفـضل النعـيم المقيـم على الدنيا وما فيها.

•• إنك ميت وإنهم ميتون ••

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦: ٢٧). وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القـصص: ٨٨). وقال تعـالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ

أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

وقال تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

فالموت حق على الإنس والجن لا ينجو منه أحدٌ ولو نجا منه أحدٌ لنجا منه سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ.

وفى الصحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال ﷺ: «أعوذ بعزتك الذى لا إله إلا أنت الذى لا يموت والإنس والجن يموتون».

وعن أنس قال: لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب» (اخرجه البخارى)

* وعن أنس رضى الله عنه قال: «لما قالت فاطمة ذلك، يعنى لما وجد رسول الله ﷺ من كرب الموت ما

وجد، قالت فاطمة: واكرباه، قال رسول الله ﷺ: «يا بُنية! إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتاركٍ منه أحدًا لموافاة يوم القيامة» (السلسلة الصحيحة: ١٧٣٨).

•• إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمله ••

قال ﷺ: «إذا أرادَ الله بعبد خيرًا استعملهُ»، قيل: ما يستعملُه؟ قال: «يفتحُ لـهُ عملاً صالحًا بين يدىْ موته حتَّى يرضى عليه من حوله» (صحيح الجامع: ٣٠٤).

وقال ﷺ: «إذا أرادَ الله بعبد خيرًا طهرهُ قبلَ موته» قالوا: وما طهورُ العبدِ؟ قال: عملٌ صالحٌ يلهمهُ إياهُ حتَّى يقبضهُ عليه» (صحيح الجامع: ٣٠٦).

•• وما تدري نفس بأى أرض تموت ••

ولا يعلم أى إنسان ـ مهما كانت منزلته ـ ميعاد موته فهذا من الغيب الذى استأثر الله بعلمه.

قال ﷺ: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (أخرجه البخارى).

وقال ﷺ: «إذا أراد الله قبض عبدٍ بأرضٍ جعل له فيها

حاجة» (صحيح الجامع: ٣١١).

ولذلك فعلى العبد أن يجتهد دائمًا فى طاعة الله لأنه لا يعلم متى يموت.

•• ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها ••

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ (آل عمران: ١٤٥) وقال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ (المنافقون: ١١).

فكل إنسان له أجلٌ محدود لا يستطيع أن يتجاوزه بحال من الأحوال... فآجال العبـاد وأرزاقهم قد قدرها الله (عزّ وجل) قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وجرى بذلك القلم فى اللوح المحفوظ.

قـــال ﷺ: «كتب الله مـقادير الخلائق قـبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألـف سنة، قال: وكان عرشه على الماء» (اخرجه مسلم).

•• وقفـة لطيفـة ••

قـال تعـالـى: ﴿يَمْحُو الـلَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنـدَهُ أُمُّ

الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩).

وقال ﷺ: «من سرَّه أن يُبسط له فى رزقه ويُنسأ له فى أثره فليصل رحمه» (متفق عليه).

فهناك مــن يسأل ويقول: إذا كان الله (عــز وجل) يعلم كل شىء فما معنى «يمحو الله ما يشاء ويُثبت» . . بل كيف يزيـد الرزق والـعمـر إذا كـان ذلـك قد كُتـب فى الـلوح المحفوظ.

قال الإمام النووى - رحمه الله - :

وبسط الرزق تـوسيعه وكـثرته وقيل: الـبركة فيـه وأما التـأخير فـى الأجل ففيـه سؤال مـشهور وهـو أن الآجال والأرزاق مقـدرة لا تزيد ولا تنقـص (فإذا جاء أجـلهم لا يستأخـرون ساعة ولا يستـقدمون) وأجاب العلمـاء بأجوبة الصحـيح منها أن هذه الـزيادة بالبركـة فى عمره والتـوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفـعه فى الآخرة وصيانتها عن الضيـاع فى غير ذلك، والـثانى أنه بالنـسبة إلى ما يـظهر للملائـكة وفى اللوح المحفوظ ونـحو ذلك فيظهـر لهم فى اللوح أن عمره سـتون سنة إلا أن يصل رحمه فـإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك (مسلم بشرح النووى: ١٦/ ١٧٢، ١٧٣).

•• الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ••

عن محمد بن كعب القرظى قال: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال: السلام عليك يا ولى الله، الله يقرئك السلام، ثم نزع بهذه الآية ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا﴾ (النحل: ٣٢).

* عن جابر رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُبعث كل عبد فى القبر على ما مات، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه» (رواه أحمد بسند صحيح).

* قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢).

* قال علماء السلف: إن العبد المؤمن وهو يتقلّب فى نعيم الجنة لا ينسى طعم وحلاوة بشارة ملك الموت له عند خروج الروح... ونقيض ذلك للعاصى والكافر.

•• من مات فقد قامت قيامته ••

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما للذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

فالبعث الأول: مـفارقة الروح للبدن ومـصيرها إلى دار الجزاء الأول.

والبـعث الثـانى: يوم يرد الله الأرواح إلـى أجسـادها، ويبعثهـا من قبورها إلى الجنة أو النار، وهو الحـشر الثانى، ولهذا فى الحديث الصحيح.

«وتؤمن بالبعث الآخر فـإن البعث الأول لا ينكره أحد، وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب».

«فالقيامة الصغرى هى الموت، فكل من مات فقد قامت قيامتـه، وحان حينه، ففى «صحيح البـخارى»، و«مسلم» عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب يأتون النبى ﷺ فيسألونه عن الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «إن يعش هذا، لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم».

•• إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ••

قال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ قَالُوا رَبُّنَا الـلَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنـتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيـهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيـهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٠: ٣٢).

* يقول تعالى: ﴿إن الذين قالـوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أى أخلصوا العقيدة والعمـل لوجه الله تعالى على ما شرع سبحانه وتـعالى لهم وبقوا على ذلك حتـى لقوا الله. كما روى الحافظ أبو يـعلى الموصلى عن أنس بـن مالك رضى الله عنه قـال [قرأ عليـنا رسول الله ﷺ هذه الآيـة: ﴿إن الذين قالـوا ربنا الله ثم استقامـوا﴾ قد قالها ناس ثـم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها].

وعن ابن عبـاس رضى الله عنهما: ﴿قـالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على أداء فرائضه.

وروى مسلم فى صحـيحه والنسائى عن سفـيان بن عبد الله الثقفى قال [قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عـنه أحدًا بعـدك قال ﷺ: «قل آمـنت بـالله ثم استقم» قلت يا رسول الله: ما أكـثر ما تخاف على؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال: «هذا»].

•• رحلة أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين ••

* عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل مـن الأنصار، فانتـهينا إلـى القبر ولما يـلحد، فـجلس رسـول الله ﷺ مُستقـبل القبلة، وجلسـنا حوله،

وكـأن علـى رؤوسنا الـطيـر، وفى يـده عودٌ يـنكـتُ فى الأرض، فجـعل ينـظرُ إلى السـماء، وينـظرُ إلى الأرض، وجعل يرفعُ بصرهُ ويخفضـهُ، ثلاثًا، فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القـبر» ـ مرتين أو ثلاثًا ـ، ثم قـال: «اللَّهم إنى أعوذُ بك من عذاب القبر» ـ ثلاثًا ـ ثم قال:

«إن العبد المـؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيـا، وإقبال من الآخرة، نزل إليـه ملائكةٌ من السمـاء، بيضُ الوجوه، كأن وجـوههم الشـمسُ، معـهم كفـنٌ من أكفـان الجنة، وحَنُوطٌ من حَنُوط الجنة، حتى يجلسوا مـنه مد البصر، ثم يجىء مـلكُ الموتَ علَيـه السلام حـتى يجلس عنـد رأسه فيقولُ: أيتُها النفس الطيبةُ ـ وفى رواية: المطمئنة ـ اخرُجى إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرجُ تسيلُ كما تسيل القطرةُ من فِى السقاء، فـيأخذُها،ـ وفى رواية ـ: (حتى إذا خَرَجت روحَهُ صلـى عليه كل ملك بين الـسماء والأرض، وكلُّ ملك فى السماء، وفُتحت له أبوابُ السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُعرج بروحه من قبلهم)، فإذا أخـذها لم يدعُوها فى يده طـرفة عين حتى يـأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن، وفى ذلك الحَنُوط، فذلك قوله تعـالى: ﴿تَوفَّتْهُ رُسُلُنـا وهُم لا يُفرِّطُونَ﴾، ويخـرجُ منهـا

كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يُمرون ـ يعنى بها ـ على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الطيب؟ فيقولون: فلانُ ابن فلان ـ بأحسن أسمائه التى كانوا يُسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيُفتح لهم، فيُشيعهُ من كل سماء مُقربوها، إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقولُ الله عز وجل: اكتُبوا كتاب عبدى فى عليين، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فيكتب كتابه فى عليين، ثم يقال: أعيدوهُ إلى الأرض، فإنى وعدتهم أنى منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم ومنها أُخرجهم تارةً أخرى، قال: فيردُ إلى الأرض، وتُعادُ روحه فى جسده، قال: فإنه يسمعُ خفقَ نعال أصحابه إذا ولوا عنه مُدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويُجلسانه فيقولان له: من ربكَ؟ فيقول: ربى الله، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقولُ: دينى الإسلامُ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما عَمَلكُ؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنتُ به، وصدقت، فينتهرهُ فيقولُ: من ربك؟ ما دينُك؟ من نبيُّك؟ وهى آخرُ فتنة

تُعرض على المؤمن، فذلك حين يقولُ الله عز وجل: ﴿يُثبتُ الله الَّذينَ آمنُوا بِالقولِ الثَّابتِ في الْحيَاة الدُّنْيَا﴾، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمدٌ ﷺ، فيُنادي مُناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشُوه من الجنة، وألبسُوه من الجنة، وافتحُوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسحُ له في قبره مدَّ بصره، قال: ويأتيه ـ وفي رواية ـ: (يُمثلُ له رجلٌ حسنُ الوجه، حسنُ الثياب، طيبُ الريح، فيقولُ: أبشر بالذي يَسُرُكَ، أبشر برضوانٍ من الله، وجنات فيها نعيمٌ مقيمٌ)، هذا يومُك الذي كنت تُوعدُ، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجُهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فوالله ما علمتُك إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيرًا، ثم يُفتح له بابٌ من الجنة، وبابٌ من النار، فيقُال: هذا منزلُك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجِّل قيامَ الساعةِ كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيُقال له: اسكُن.

قال: وإن العبد الكافر ـ وفي رواية ـ: (الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من

السماء مـلائكةٌ غلاظٌ شدادٌ، سودُ الوجوهِ، مـعهم المُسوحُ من النار، فيجلسون منه مـد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلسَ عند رأسه، فيقولُ: أيتها النفسُ الخبيثةُ اخرجى إلى سـخط من الله وغـضب، قـال: فتـفـرق فى جسـده فينـتزعُها كَمـا يُنتزع السـفودُ الكثـيرُ الشعب مـن الصوف المبلول، فـتُقطعُ معها العـروقُ والعصبُ، فيلعـنهُ كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك فى السماء، وتُغلق أبوابُ السمـاء، ليس من أهل بابٍ إلا وهم يدعـون الله ألا تعرج روحهُ من قبلـهم، فيأخذُهاَ، فإذا أخـذها، لم يدعُوها فى يده طرفـةَ عين حتى يجـعلُوها فى تلك المُسـوحِ، ويخرجُ منها كأنتنِ ريحِ جيفة وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على مـلأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبـيثُ؟ فيقولون: فـلانُ ابن فلان ـ بأقبحِ أسـمائه التى كان يُسمى بـها فى الدنيا، حتى ينتهـى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له، فلا يُفتح له، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُم أبـواب السمـاء ولا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فى سَمِّ الْخيَاطِ﴾ فيقولُ الله عـز وجل: اكتُبوا كتابهَ فى سجين فى الأرض السفلى، ثم يقال: أعيدُوا عبدى إلى الأرض فإني وعدتُهم أنـى منها خلقتُهم، وفيهـا أعيدُهم،

ومنها أخرجُهم تارةً أخرى، فتُطرح روحُه من السماء طرحًا حتى تقعَ فى جسده، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ فتُعَادُ روحُه فى جسده، قال: فإنه ليسمع خفقَ نعالِ أصحابه إذا ولوا عنه.

ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويُجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقولُ: هاه هاه لاَ أدرَى، فيقولان: فما تقولُ فى هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه، فيُقال: محمدٌ! فيقولُ: هاه هاه لا أدري سمعتُ الناس يقولون ذاك! قال: فيُقال: لا دريت، ولا تلوت، فيُنادى مُناد من السماء أن: كذب، فأفرشُوا له من النار، وافتحُوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمُومها، ويُضيقُ عليه قبرهُ حتى تختلفَ فيه أضلاعُهُ، ويأتيه - وفى رواية -: (ويُمثل له) رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، مُنتنُ الريح، فيقولُ: أبشر بالذى يسوؤك، هذا يومُك الذى كُنت تُوعدُ، فيقولُ: وأنت فبشركَ الله بالشر من أنت؟ فوجهُك الوجهُ يجىء بالشر! فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله،

فجزاك الله شرًا، ثم يُقيضُ له أعمى أصمُّ أبكمُ فى يده مرزبة! لو ضُرب بها جبلٌ كان ترابًا، فيضربه ضربةً حتى يَصيرَ بها ترابًا، ثم يعيدهُ الله كما كان، فيضربه ضربةً أخرى، فيصيحُ صيحةً يسمعهُ كل شىء إلا الثقلين، ثم يُفتح له بابٌ من النار، ويُمهدُ من فُرُشِ النارِ، فيقول: رب لا تُقِم الساعةَ» (صحيح الجامع: ١٦٧٦).

•• فأما إن كان من المقربين ••

* قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الواقعة: ٨٨ ـ ٩٥).

* يقول الطبرى: «فأما إن كان الميت من المقربين الذين قرّبهم الله من جواره فى جنانه ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، يقول: فله روح وريحان.

* عن على، عن ابن عباس: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: راحة ومستراح.

* وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ليس هذا سلام تحية

ولو كان تحيــة لقال: فسلام عليه كــما قال: ﴿سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات: ١٠٩). ﴿سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ (الصافات: ٧٩)، ولكن الآية تضمنت ذكر مراتب الناس وأقسامهم عند القيــامة الصغرى حــال القدوم على الله، فذكــر أنهم ثلاثة أقسام:

* مقرّب له الروح والريحان وجنة النعيم.

* ومقــتصِد مــن أصحاب الــيمين له الــسلامة فــوعده بالســلامة، ووعد المقــرب بالغـنيــمة والفــوز، وإن كان كل منهما سالمًا غانمًا.

* وظالم بــتكذيبــه وضلاله فــأوعده بــنُزل من حمــيم وتصلية جحيم.

فلما لم يكن المــقام مقام تحية، وإنما هو مــقام إخبار عن حاله، ذكر ما يحصل له من السلامة.

•• كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ••

قــال تعــالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (المطففين: ١٨: ٢٢).

* قال الإمام ابن القيم فى كتابه «حادى الأرواح»:

«أخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية، وخصّ تعالى كتاب الأبرار بأنه يُكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجّار تنويهًا بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به، وإشهارًا له وإظهارًا بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك تواقيع مَن تعظمه بين الأمراء، وخواص أهل المملكة، تنويهًا باسم المكتوب له، وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده». وقال: «فهذا التوقيع والمنشور الأول. ويكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته».

* وعن الضحاك قال: «إذا قُبض روحُ العبد المؤمن عُرجَ بها إلى السماء، فينطلقُ معه المقربونَ، ثم عُرجَ به إلى السماء الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، حتى ينتهُوا إلى سدرة المُنتهى، فيقُولونَ: عبدُك فُلانٌ - وهو أعلمُ به.

فيأتيه صكٌ، مَختُومٌ بأمنه من العذَاب، فذلك قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ

لَفِي نَعِيمٍ﴾ (المطففين: ١٨ : ٢٢).

* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن، إذا كان فى إقبال من الآخرة، وإدبار من الدنيا، نزلت ملائكةٌ من ملائكة الله ـ كأن وجوههُم الشمس ـ بكفنه وحنوطه، فيقعُدُونَ منهُ، حيثُ ينظر إليهم، فإذا خرجت رُوحهُ، صلى عليه كل ملكٍ بين السماءِ والأرضِ» (اخرجه ابن منده وله شاهد صحيح من حديث البراء).

•• تلاقى أرواح المؤمنين ••

* وقال رسول الله ﷺ: «إن المُؤمن إذا قُبض، أتتهُ ملائكةُ الرحمة بحريرةٍ بيضاء، فيقولون: اخرجى، راضيةً مرضيًا عنك، إلى روحِ الله تعالى وريحان، ورب غير غضبان.

فتخرجُ كأطيبِ ريح المسكِ، حتى إنه ليناولهُ بعضهم بعضًا، فيُسمُّونهُ بأحسن الأسماء لهُ حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون:

ما أطيب هذه الريح، التى جاءت من الأرض!!! كلما أتوا سماءً، قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنينَ.

فهم أفرحُ به من أحدكم بغائبه إذا قدمَ. فيسألونهُ:

ما فعل فلانٌ؟

فيقولون: دعُوه حتى يستريح، فإنهُ كان فى غم الدنيا» (رواه أحمد بسندٍ صحيح).

•• بشارات للمؤمنين من رب العالمين ••

وها هى باقة عطرة من البشارات التى يُكرم الله بها أولياءه عند أصعب لحظة تمر بالعبد - وهى لحظة الموت -.

وتالله إننى أجد الكلمات تتوارى خجلاً وحياءً أمام إكرام الله (عز وجل) لأوليائه الذين عبدوه وأخلصوا العبادة له.

(١) رؤية العبد المؤمن لملائكة الرحمة - بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس.

(٢) ملك الموت يبشره بمغفرة الله ورضوانه.

(٣) ملك الموت يبلغه السلام من ربه (عز وجل).

(٤) خروج روحه بُيسرٍ وسهولة كما تسيل القطرة من فىّ السقاء.

(٥) خروج روحه فى كفنٍ من الجنة وحنوط من الجنة.

(٦) أنه يرى مقعدة من الجنة قبل الموت.

(٧) خروج روحه فى ريحان الجنة ومسك الجنة.

(٨) إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء.

(٩) تُفتح لروحه أبواب السماء.

(١٠) يخرج من روحه كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض

(١١) الملائكة تناديه بأحب أسمائه إليه.

(١٢) أنه يُشرق وجهه ويأتى ربه من الباب الذى كان يصعد عمله منه.

(١٣) يسمع ثناء الناس عليه وهو محمولٌ على الأعناق.

* وعن عمرو بن دينار قال: «ما من ميت يموت إلا روحه فى يد ملك ينظر إلى جسده، كيف يُغسل، وكيف يُكفن، وكيف يُمشى به، ويُقال له، وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك».

(١٤) يُشيعه من كل سماء مُقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى إلى السماء السابعة.

(١٥) يقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين... وكل ذلك بمشهدٍ من المقربين.

(١٦) ينادى منادٍ من السماء: أن صدق عبدى.

(١٧) تلتقى روحه بأرواح المؤمنين فيفرحون به ويفرح بهم. قال ثابت البناني: «بلغنا أن الميت إذا مات احتوشه أهله وأقاربه الذين تقدّموه فلهو أفرح بهم وهم أفرح به من المسافر إذا قدم إلى أهله».

(١٨) الملائكة تبشره: ألا خوف عليه ولا حزن على ما ترك من حُطام الدنيا الزائل ولا خوف عليه من الأهوال الآتية لأن الله سيحفظه منها.

(١٩) أنه يُبشَّر بصلاح ولده

قال مجاهد: «إن المؤمن يُبشَّر بصلاح ولده من بعده لتقرّ عينه»[٣].

(٢٠) أن الله يثبته عند سؤال الملكين.

(٢١) يُفرش له قبره من الجنة ويُفتح له باب إلى الجنة يأتيه من روحها وطيبها.

(٢٢) يُفسح له فى قبره مدَّ بصره.

(٢٣) يُمثَّل له عمله الصالح فى صورة رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح.

(٢٤) يرى منزله الذى كان فى النار لو عصى ربه.

(٢٥) يرى منزله فى الجنة فيفرح ويقول: رب عجِّل قيام

الساعة كيما أرجع إلى أهلى ومالى.

(٢٦) ومسك الختام: دخول روحه إلى جنة الرحمن ونعيم جسده فى قبره حتى يدخل الجنة يوم القيامة بروحه وجسده.

●● مشاهد الحسرة عند الموت للعصاة والكافرين ●●

وها هى نبذة يسيرة نلقيها على مشاهد الحسرة التى تحدث للعصاة والكافرين عند الموت.

* رؤيته لملائكة العذاب ـ وهم غلاظٌ شداد سود الوجوه ـ فيذوب قلبه من الحزن والفزع فى آن واحد.. قال تعالى: **﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾** (الفرقان: ٢٢).

* ملك الموت يبشره بسخط الله وغضبه وعذابه.

* يعلم مكانه من النار قبل نزع روحه.

* شدة نزع روحه من جسده حتى تتقطع العروق والأعصاب.

* الضرب والإهانة عند خروج الروح.

قال تعالى: **﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ**

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال: ٥٠: ٥١).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: ٩٣).

* توضع روحه فى مسوحٍ من النار.

* يلعنه كل ملكٍ بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء.

* يخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض.

* تُغلق أبواب السماء دونه... ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم.

* تناديه الملائكة بأقبح أسمائه التى كان يُسمى بها فى الدنيا.

* يقول الله تعالى: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السُفلى.

* يتمنى الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحًا.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩٩: ١٠٠).

* يدعو على نفسه بالويل عند حمل جنازته

قال ﷺ: «إذا وُضعت الجنازة واحتملها الرجالُ على أعناقهم، فإن كانت صالحةً، قالت: قدمُونى، وإن كانت غير صالحة، قالت: يا ويلها، أين يذهبُون بها؟ يسمعُ صوتَهَا كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعهُ، لصُعق» (أخرجه البخارى).

* تُطرح روحه من السماء طرحًا حتى تقع فى جسده.

* لا يستطيع الإجابة على أسئلة الملكين.

* ينادى منادٍ من السماء: أن كذب عبدى.

* يُفرش له قبره من النار ويُفتح له باب إلى النار.

* يُضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

* يُمثل له عمله الخبيث على صورة رجل قبيح الوجه قبيح الثياب مُنتن الريح فيقول له: أبشر بالذى يسؤوك.

* يُقيض له أعـمى أصم أبكم فيضـربه بمرزبة لو ضُرب بها جبل كان ترابًا.

* يُفتح له باب من النار ويُمهد من فُرش النار.

* «تفكَّر يا مغـرور فى الموت وسكرته، وصعـوبة كأسه ومرارته، فيـا للموت من وعد ما أصدقـه، ومن حاكم ما أعدلـه، كفى بالمـوت مفزعًا للـقلوب، ومبـكيًا للعـيون، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات.

أسأل الله (جل وعلا) أن يوقظ قلوبنا من غفلتها وأن يرزقنا جميعاً حسن الخاتمة.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه أفقر خلق الله إلى الله
محمود المصرى
(أبو عمار)

محتويات الكتاب

الموضـــوع الصفحة